مجلة رؤى مستقبلية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
ISSN: 2992 - 1449.
EISSN : 2992-1996
المجلد 03 / العـدد: 01(2026)، ص 10- 26

# فلسفة الذكاء الاصطناعي وسؤال الإنسان-مساءلة تحليلية نقدية-

# The Philosophy of Artificial Intelligence and the Human Question: A Critical Analytical Inquiry

**فطيمة حيمان[1]***

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف(الجزائر) himane@univ-chlef.dz.f

تاريخ الاستلام: 2026/03/08 تاريخ القبول: 2026/05/03 تاريخ النشر: 2026/06/19

**ملخص:**

تبحث هذه الدراسة في كيفية إعادة الذكاء الاصطناعي صياغة مفهوم الإنسان أنطولوجيًا وأخلاقيًا ومعرفيًا، من خلال تفكيك الإشكاليات الأنطولوجية والأخلاقية والإبستمولوجية التي يطرحها هذا الذكاء الاصطناعي على الذكاء الإنساني. وتنطلق من فرضية أنّ الذكاء الاصطناعي لا يهدّد إنسانية الإنسان، بقدر ما يكشف حدود التصورات الكلاسيكية للعقل والوعي، ويشكّل تحدّيًا أنطولوجيًا وأخلاقيًا، يتطلّب تحليلاً نقديًا يتجاوز الطابع التقني إلى مساءلة فلسفية معمقة. ولذلك، اتبعنا في مقاربتنا للموضوع منهج التحليل المفاهيمي والنقد الفلسفي، ورمنا من خلالهما التأكيد على محورية سؤال الإنسان ضمن فلسفة الذكاء الاصطناعي عبر تحليل نقدي لمسارات التفكير المعاصر حول الذكاء الاصطناعي، وانعكاساته على مفهوم الإنسان. وانتهينا إلى أنّ الذكاء الاصطناعي لا يشكّل تهديدًا للإنسان بقدر ما يمثل اختبارًا لإنسانيته يكشف حدود العلم وحدود التقنية، ويفتح أفقًا لتجديد الفلسفة وإعادة تعريف الإنسان ضمن أفق معلوماتي جديد يستدعي تأسيس أنسنة نقدية ما بعد تقنية.

**كلمات مفتاحية:** الذكاء الاصطناعي؛ سؤال الإنسان؛ التحدّيات الفلسفية والأخلاقية؛ الهوية الإنسانية.

**Abstract:**

This study examines how artificial intelligence is reshaping the concept of humanity ontologically, ethically and epistemologically, by unpacking the ontological, ethical and epistemological issues that artificial intelligence poses to human intelligence. It proceeds from the premise that artificial intelligence does not threaten human humanity, so much as it reveals the limits of classical conceptions of mind and consciousness, and poses an ontological and ethical challenge that requires a critical analysis extending beyond the technical to an in-depth philosophical examination. Therefore, in our approach to the subject, we have adopted a method of conceptual analysis and philosophical critique, through which we have sought to emphasise the centrality of the human question within the philosophy of artificial intelligence by means of a critical analysis of contemporary lines of thought on artificial intelligence and their implications for the human question. We concluded that artificial intelligence does not constitute a threat to humanity so much as it represents a test of humanity that reveals the limits of science and technology, and opens up a horizon for the renewal of philosophy and the redefinition of humanity within a new informational horizon that calls for the establishment of a post-technological critical humanism.

**Keywords:** Artificial intelligence; the human question; philosophical and ethical challenges; human identity.

*المؤلف المرسل: فطيمة حيمان .himanefatima10@gmail.com

**مقدمة:**

تمثل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي أبرز التحديات التي يواجهها الفكر الإنساني المعاصر، ليس فقط من حيث إمكاناته التقنية والاقتصادية والمعرفية، بل كذلك من حيث دلالاته الأنطولوجية والفلسفية؛ فالذكاء الاصطناعي لم يعد مجرّد أداة تقنية، بل أصبح حدثًا ابستمولوجيًا يثير مشكلات معرفية وأخلاقية وأنطولوجية، وفاعلاً معرفيًا يعيد مساءلة الأسس التي قام عليها تعريف الإنسان بوصفه كائنًا عاقلاً واعيًا بذاته.

فإذا كان التقليد الفلسفي قد صاغ سؤال الإنسان في أفق ماهوي، وإذا كانت الفلسفة الكلاسيكية والحديثة قد ربطت ماهية الإنسان بعقله ووعيه بذاته وإدراكه للعالم، فإنّ الثورة الرقمية وما صاحبها من تطوّرات في الذكاء الاصطناعي، ولا سيما تسارع تطوّر خوارزميات التعلم الآلي وبروز أنظمة قادرة على التعلم الذاتي وصناعة المعنى واتخاذ القرارات، دفعت هذا السؤال إلى آفاق جديدة.

لأنّ هذه الأنظمة الذكية تضع محدّدات الإنسان موضع مراجعة فلسفية جدية؛ فالمسألة لم تعد تتعلق بمدى كفاءة الآلة، ولا بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي في ظل غياب ضوابط أو قوانين تنظم هذا النشاط وتطبيقاته، بل بإعادة تشكّل مفهوم الإنسان أنطولوجيًا، وبطبيعة التحوّل الذي تحدثه في تصورنا للعقل والوعي والمسؤولية. ولذلك، فهي تحتاج إلى مقاربة دقيقة وعمق أكبر يتمثل في تحليل الأثر الأنطولوجي للذكاء الاصطناعي على مفهوم الإنسان ذاته.

وهنا تبرز الإشكالية المركزية لهذا البحث؛ تحديد طبيعة التحوّل الأنطولوجي الذي أحدثه الذكاء الاصطناعي في مفهوم الإنسان، بغرض توضيح الفارق الأنطولوجي بين الذكاء بوصفه معالجة معلومات، والوعي بوصفه تجربة قصدية ذاتية، بما يسمح بإعادة صياغة موقع الإنسان داخل عالم الخوارزميات: فإلى أي مدى يعيد الذكاء الاصطناعي تعريف الإنسان دون أن يلغي خصوصيته؟

وعلى الرغم من أهمية معظم الدراسات التي تعالج أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، إلا أنّ القليل منها يعالج إعادة تشكل مفهوم الإنسان أنطولوجيًا. وهذا ما يترك فجوة معرفية تقترح هذه الورقة ملأها انطلاقا من أطروحة أنّ الذكاء الاصطناعي لا يقتصر على تحدي التفوق المعرفي البشري فحسب، بل يزعزع الأسس الوجودية التي بُني عليها المفهوم الحديث للإنسان، وصولا إلى فكرة الأنسنة النقدية ما بعد التقنية، التي تفتح أفقًا لإنسانية متجدّدة تدرك تميّزها وتستعيد مركزيتها عبر مساءلة تقنياتها.

## 1. الإطار المفاهيمي

### 1.1 مفهوم الذكاء الاصطناعي:

يحمل لفظ الذكاء دلالات الفطنة وحدّة العقل وسرعة الاستيعاب: "والذكاء سرعة الفطنة: يقال صبي ذكي إذا كان سريع الفطنة، وأصل الذكاة في اللغة إتمام الشيء، فمن ذلك الذكاء في الفهم: أن يكون

فهمًا تامًا سريع القبول. يقال "ذكي الرجل" إذا كان حاد الإدراك سريع الفهم." (ابن منظور، د.ت، ص1510) مما يؤكد ارتباطه الوثيق بالتميّز الذهني لدى الإنسان.

أما في الاصطلاح فيُعدّ الذكاء أحد المفاهيم المحورية في الفلسفة وعلوم الإدراك؛ فقد تنوّعت المقاربات العلمية والفلسفية في إبراز ماهيته وتحديد حدوده الوظيفية، حيث يُدرَك نفسيًا كقدرة على التعلّم والتكيّف وتجاوز المعضلات داخل بيئات متغيّرة. (Sternberg Robert, 2020, pp ((5-3) بينما يُفهم معرفيًا كمنظومة من العمليات العقلية العليا (كالاستدلال، والانتباه، والذاكرة) التي تمكّن الفرد من معالجة المعلومات وبناء المعنى. (Anderson John R, 2021, pp (22-25))

ويتجاوز التصور الفلسفي هذه المستويات ليمنح الذكاء أفقًا أنطولوجيًا يعكس القصدية والقيمية في حضور الذات داخل العالم، باعتباره فعلًا واعيًا متجذرًا في الوجود لا مجرّد حساب آلي أو ترميز صوري (Garner Howard, 2011, pp (9-6)) وبهذا المعنى، يتجلى الذكاء كتركيب جامع بين الأداء الوظيفي والعمق الوجودي، وهو ما يشكّل الأساس الذي يرتكز عليه التميز الراهن بين العقل الإنساني والآلات الذكية وفق أبعاد الوعي والمعنى لا القدرة الحسابية وحدها.

ومع الثورة الحاسوبية الحديثة، اتسع مدلول الذكاء متجاوزًا حدوده البشرية ليشمل المنظومات التقنية المصطنعة، فظهر اصطلاح الذكاء الآلي الاصطناعي منذ منتصف القرن العشرين، ويحمل في جذره اللغوي دلالة الجمع بين مفهوم الإدراك وسرعة الفهم والقدرة على معالجة العلاقات وصياغة الحلول للمشكلات، وبين ما يُنتج تقنيًا من منظومات مصطنعة مغايرة للطبيعي.

واصطلاحًا، تتباين تعريفاته العلمية تبعًا لتعدّد التخصّصات التي اشتغلت عليه؛ ففي المنظور العام يعرّف الذكاء الاصطناعي بأنه: "فرع من علوم الكمبيوتر يُعنى بتصميم أنظمة قادرة على أداء مهام تتطلب عادةً ذكاءً بشريًا، مثل الفهم، والتعلم، وحل المشكلات، والادراك اللغوي والبصري." (Russell & Norvig, 2021, p.1) ويقدّمه جون مكارثي بوصفه : "علم وهندسة آلات ذكية، وخاصة البرامج الحاسوبية القادرة على محاكاة سلوك الإنسان في التفكير والتعلم." (McCarthy John, 2007, p.2) ثم تطوّر مدلول المصطلح ليعبّر عن أنظمة تتعلّم ذاتياً، قادرة على استشعار بيئتها واتخاذ قرارات تعزّز من احتمالات نجاحها في تحقيق الأهداف، وفق خوارزميات وبرمجيات محدّدة. (Russell & Norvig, 2021, p.4)

ويقدّم المنظور الفلسفي بعدًا أعمق لهذا المفهوم؛ فمن الناحية الفلسفية لا يختزل الذكاء الاصطناعي في بعده التقني، فهو ليس مجرّد أداة تقنية، بل حدث معرفي يعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والعقل والتقنية؛ إنّه تحوّل إبستمولوجي في علاقة الإنسان بالمعرفة وبالعقل؛ إذ يثير هذا الامتداد المفاهيمي للذكاء من الإنسان إلى الآلة أسئلة فلسفية عميقة حول طبيعة وحدود الذكاء الاصطناعي، وإمكان الوعي الاصطناعي، وحول الاعتبارات الأخلاقية والمعرفية التي تصاحب انتقال الذكاء من كونه ملكة إنسانية خالصة إلى خاصية مُبرمجة تقنياً. ومن هنا انبثقت إشكاليات جديدة تتصل بمعنى

الذكاء ذاته، وبمآلات الإنسان في عصر تتقاطع فيه الذات البشرية مع الآلة الذكية ضمن أفق معرفي جديد.

وفي ضوء هذه المقاربات، يمكن ضبط مفهوم الذكاء الاصطناعي تقنيًا بوصفه القدرة الحاسوبية لمحاكاة الوظائف الإدراكية على نحو يجعلها قادرة على التفكير، والتعلم، واتخاذ القرارات. (عقوني محمد، 2023، ص(2-3)) غير أنّه فلسفيًا يمثل تحوّلاً إبستمولوجيًا يعيد صياغة مفهوم العقل ذاته. إنّه في جوهره، مرآة تكنولوجية للعقل البشري تبرز الطموح الأزلي للإنسان في أن يرى نفسه وقد تجسد في الخوارزمية. ((Floridi Luciano, 2014, pp (67-70)

وعليه، يَستدعي الذكاء الاصطناعي في مستواه التقني بوصفه قدرة النظم الحاسوبية على محاكاة البنى الإدراكية البشرية، تساؤلات فلسفية عميقة حول طبيعة الفهم والعقل: هل الذكاء مجرّد معالجة خوارزمية للمعطيات، أم هو ظاهرة قصدية دلالية تتأسس على الوعي والمعنى؟ وهنا تحديدًا تتجلّى ضرورة فلسفة الذكاء الاصطناعي التي لا تقتصر على وصف الأداء التقني، بل تمارس تفكيرًا نقديًا يتجاوز سؤال كيفية اشتغال الخوارزميات أو الآلات إلى مساءلة معنى الذكاء الآلي وتأثيره على إعادة تشكيل تمثّل الإنسان لذاته. وبهذا ينتقل البحث الفلسفي في الذكاء الاصطناعي من الإطار التقني إلى أفق فلسفي يعيد فحص مفاهيم العقل والحرية والمسؤولية والكينونة الإنسانية في عصر الفواعل المعرفية التقنية غير البشرية.

**2.1 فلسفة الذكاء الاصطناعي**

مع توسع النقاشات حول الوعي الاصطناعي والأخلاق الخوارزمية، نشأ حقل فلسفي مستقل يُعرف بفلسفة الذكاء الاصطناعي، ويُعنى بدراسة الأسس الأنطولوجية والمعرفية والأخلاقية لهذه التقنية، بوصفها ظاهرة تتخطى بعدها التقني لتثير إشكالات عميقة تتصل بماهية العقل، والوعي، والمعنى، والمسؤولية الأخلاقية. فهي لا تنشغل بسؤال كيفية عمل الآلة، بقدر ما تهتم بالتساؤل الفلسفي حول دلالات تفكير الآلة وآثارها على الإنسان، وما الذي يكشفه ذلك عن طبيعة الفكر الإنساني وحدوده وإمكاناته. "إنها الدراسة الفلسفية للذكاء الاصطناعي بوصفها محاولة لفهم طبيعة الذكاء ذاته، سواء كان بشرياً أم آلياً، وما إذا كانت الآلات يمكنها أن تمتلك حالات ذهنية حقيقية." (Boden Melanie Anne, 2018, p.12)

وضمن هذا الحقل، تبلورت مقاربات متعدّدة أبرزها مقاربة "بوستروم نيك" Bostrom Nick الذي يرى أنّ هذا الحقل "يمثل انعطافة أنطولوجية في علاقة الإنسان بالعقل"، لأنّ تطوّر الذكاء الاصطناعي يفتح الباب أمام "كائنات غير بشرية تمتلك قدرات تتجاوز حدود العقل البشري." (Bostrom Nick, 2014, p.5) أما "سيرل جون" Searle John فقد وضع الإشكال في صلب العلاقة بين الوعي والمعالجة

الرمزية، متسائلا : "هل الآلة تفهم، أم أنها فقط تحاكي الفهم؟" (Searle John, 1980, p.423)غير أنّ أطروحة "بوستروم" تفترض قابلية اختزال العقل في البنية الحسابية، وهو افتراض محل نزاع خاصة في ضوء نقد سيرل للقصدية الاصطناعية كما سنرى.

وبناءً عليه، يمكن التأكيد على أنّ فلسفة الذكاء الاصطناعي تشكّل أفقًا فكريًا مستجدًا تتداخل فيه التأملات الفلسفية مع البنى الخوارزمية، ويتقاطع ضمنه العقل الطبيعي مع العقل الاصطناعي، إذ أنّها في عمقها النظري، لا تمثل فلسفة للآلة، بقدر ما تغدو فلسفة للإنسان في زمن التقنية، حيث أضحت الآلة انعكاسًا معرفيًا لعقله وحدود إدراكه.

**2. الذكاء الاصطناعي وتحدّيات الكينونة الإنسانية**

يعدّ سؤال الإنسان من أعرق الإشكالات التي استأثرت بالتفكير الفلسفي، إذ ارتبط منذ نشأته الأولى بمحاولة تحديد موضع الإنسان في الوجود، واستكشاف حدود معرفته ومآلات مصيره بين ثنائية الطبيعة والروح، وبين منطق الحتمية وأفق الحرية. ومع التحوّلات التقنية المعاصرة، ولا سيما بروز الذكاء الاصطناعي وتطوّره المتسارع، أُعيد طرح هذا السؤال على نحو جديد، إذ لم يعد الإنسان الكائن العاقل الوحيد، ولا المركز الحصري للفعل المعرفي والإبداعي، بل بات يتقاسم هذه السمات مع أنظمة ذكية قادرة على التعلّم والتفكير والإنتاج، بما يضاهي قدراته أو يتجاوزها أحيانًا. وبهذا المعنى، يواجه الفكر الفلسفي المعاصر تحدّيًا عميقًا يتمثل في إعادة مساءلة الماهية الإنسانية والكينونة البشرية ذاتها، في أفق عالم تتقاطع فيه الذات الإنسانية مع الفاعلية التقنية الذكية.

**1.2 الإنسان في التراث الفلسفي: من الجوهر إلى الوعي**

منذ البدايات الأولى للتفكير الفلسفي اليوناني، تبلور سؤال الإنسان بوصفه محورًا للتأمل الفلسفي، إذ ربط "أفلاطون" Platon حقيقة الإنسان بعالم المثل، معتبرًا أنّ الروح تمثل جوهره الأزلي، في حين لا يُعدّ الجسد سوى وعاء زائل. (أفلاطون، 2012، ص (97-101)) وهو ما أسّس تصورًا ميتافيزيقيًا للإنسان بوصفه كائنًا يتجاوز المادة المحسوسة. وقدّم "أرسطو" Aristote تصورًا مغايرًا لحقيقة الإنسان، إذ عرّفه بوصفه "حيوانًا ناطقًا"، أي كائنًا يمتلك اللوغوس الذي يمكنه من التعقل والحكم الأخلاقي والتنظيم السياسي. (أرسطو، 1968، ص(7-9)) وهو تعريف يجعل من العقل المعيار الفاصل بين الإنسان وسائر الكائنات الحية. وقد أسهم هذا التأسيس اليوناني القائم على العقلانية والميتافيزيقا في ترسيخ فكرة التميّز الإنساني، وصياغة صورة الإنسان بوصفه الكائن الوحيد القادر على التفكير التأملي والبحث في المعنى.

وفي العصر الحديث أعاد الفلاسفة صياغة سؤال الإنسان ضمن أطر معرفية جديدة؛ إذ جعل "ديكارت رينيه" Descartes René في عبارته الشهيرة «أنا أفكر إذن أنا موجود» الوعي الذاتي أساسًا للوجود

الإنساني، حيث حدّد حقيقة الإنسان بوصفه ذاتًا مفكرة ومدركة لذاتها، واعتبر التفكير يقينًا أوليًا لا يمكن الشك فيه، والعقل معيارًا جوهريًا لتعريف الإنسانية. (رينيه ديكارت، 1998، ص (49-52)) وفي السياق نفسه، لا يختزل "كانط إيمانويل" Kant Emmanuel الإنسان في كونه كائنًا عاقلًا فحسب، بل يحدّده أيضًا بوصفه فاعلًا أخلاقيًا قادرًا على التشريع الذاتي وفق مبادئ العقل العملي، بما يجعل الاستقلال الذاتي أساس الكرامة الإنسانية. (كانط إيمانويل، 1999، ص (91-98)) وهنا تتجلى صورة الإنسان في فلسفته كغاية في ذاته لا كوسيلة، وهو ما منح للكرامة الإنسانية موقعًا مركزيًا في البناء الفلسفي الحديث. وهكذا، اتجهت الفلسفة الحديثة إلى ترسيخ الذاتية والعقلانية والحرية بوصفها محدّدات تأسيسية للماهية الإنسانية.

ومع القرن العشرين دخل سؤال الإنسان طورًا جديدًا أكثر تعقيدًا، إذ رفض "هيدغر مارتن" Heidegger Martin اختزال الإنسان في كونه ذاتًا مفكّرة أو وعيًا عارفًا يقابل العالم بوصفه موضوعًا خارجيًا، معتبرًا أنّ هذا التصوّر يقيّد الكينونة الإنسانية ضمن مجال معرفي ضيّق يُغفل حقيقة أنّ الإنسان يوجد في العالم وجودًا مندمجًا فيه لا كذات مقابلة له. وقد بلور هيدغر مفهوم الوجود-في-العالم (الدازاين) ليبيّن أنّ ماهية الإنسان لا تُرد إلى جوهر عقلي ثابت، بل تتكشف في انفتاحه الوجودي على العالم وسكنه اللغة والزمان. فالإنسان ليس مجرّد عقل نظري، كما أنّ العقل ذاته لا يشكّل ماهية ثابتة، بل هو أسلوب في الوجود وطريقة في الانكشاف، بحيث يغدو الانفتاح على الوجود هو ما يمنح الإنسان إنسانيته. فـ"الـ Dasein ليس كائنا عاقلا فحسب، بل هو كائن قادر على مساءلة ذاته والتفكير في معنى وجوده." (مارتن هيدغر، 2012، ص57).

وأعلن " فوكو ميشال" Foucault Michel في مؤلفه "الكلمات والأشياء" أنّ الإنسان ليس معطى أنطولوجيًا أزليًا، بل تشكّل معرفي حديث، إذ كشفت الحفريات الأركيولوجية للفكر عن حداثة ظهوره في أنساق المعرفة، وربما عن أفق زواله القريب. إذ يقول: "إنّ الإنسان قد يُمحى كما يُمحى وجه من الرمل على حافة البحر." (فوكو ميشال، 2001، ص398). ويفيد هذا التصور أنّ الإنسان لا يفهم كجوهر ثابت أو ماهية طبيعية قائمة بذاتها، بل كنتاج تاريخي مشروط بتشكيلات معرفية وخطابية متعاقبة.

وبهذا المعنى، دشّنت الفلسفة المعاصرة تفكيكًا جذريًا لمفهوم الإنسان، معتبرة أنّ ما نسميه إنسانًا ليس حقيقة قبلية أو كيانًا متعاليًا، بل بناءً تاريخيًا– لغويًا متحوّلاً، يخضع لإعادة التشكّل بتغيّر أنظمة المعرفة والسلطة والخطاب.

ومن خلال تتبّع هذا المسار التاريخي المتدرّج، يمكن القول إنّ سؤال الإنسان قد شهد انتقالًا مفهوميًا عميقًا، إذ تمّ تصوّره في الفلسفة اليونانية بوصفه ماهية عقلية–ميتافيزيقية، تقوم على مركزية العقل والجوهر، ثم أُعيد تحديده في الفلسفة الحديثة كذات عقلانية–أخلاقية، تتأسّس على الوعي الذاتي والتشريع الأخلاقي، قبل أن يُعاد تأويله في الفلسفة المعاصرة ككائن أنطولوجي–تاريخي، يتشكّل داخل شروط الوجود والخطاب والزمن.

ويُمهّد هذا التحوّل النظري لإعادة فتح سؤال الإنسان في أفق التحدّيات التي يطرحها الذكاء الاصطناعي، إذ يُثار التساؤل حول ما إذا كان ما يميّز الإنسان عن الآلة هو القدرة العقلية أم الكفاءة الأخلاقية، أم نمط الوجود–في–العالم بوصفه انفتاحًا وجوديًا لا يُختزل حسابيًا. كما يُطرح السؤال عمّا إذا كان الذكاء الاصطناعي قادرًا على منازعة الإنسان في هذه المقوّمات، أم أنّ ثمّة بعدًا أنطولوجيًا خاصًا يظل حكرًا على الكينونة الإنسانية. ومن ثمة، يصبح التراث الفلسفي خلفية إبستمولوجية لا غنى عنها لإعادة مساءلة مفهوم الإنسان وصياغته من جديد في زمن الذكاء الاصطناعي.

**2.2 الذكاء الاصطناعي وإعادة صياغة سؤال الكينونة:**

يشكّل الذكاء الاصطناعي اليوم تحوّلاً أنطولوجيًا جديدًا في تاريخ الفكر الإنساني، إذ لم يعد، بما يمتلكه من قدرات متقدّمة على التعلم الذاتي واتخاذ القرار ومعالجة اللغة، مجرّد أداة تقنية مساعدة، بل غدا أفقًا نظريًا لإعادة التفكير في ماهية الإنسان ومعنى الكينونة. فحين تتمكن الآلة من التعلم الذاتي والإبداع واتخاذ القرار، تتصدع الحدود المفهومية التقليدية بين ما اصطلح عليه بـ «العقل الطبيعي» و«العقل الاصطناعي»، الأمر الذي وضع الفكر الفلسفي المعاصر أمام مأزق عميق يتمثّل في تفكك الصورة الكلاسيكية للإنسان، تلك التي تأسست تاريخيًا على مركزية الوعي والعقل والإرادة الحرة.

وقد دفع هذا التحوّل فلاسفة معاصرين، من أمثال الفرنسيين " ستيغلر برنار" (1952-2020) Ziegler Bernard و"فيري لوك" (1951) Ferry Luc، إلى القول بأنّنا إزاء تشكّل «أنثروبولوجيا جديدة»، حيث لم تعد التقنية مجرّد امتداد أداتي للإنسان، بل أصبحت استمرارية للوعي الإنساني ذاته، وإعادة صياغة لشروط وجوده. (جيلبير سيموندون، 2018، ص (11-25)) فمنذ أن طرح " هيدغر مارتن" في مقاله الشهير «السؤال عن التقنية» سؤال ماهية التقنية، بات واضحًا أنّ التقنية لا تُختزل في كونها وسيلة محايدة في يد الإنسان، بل هي نمط خاص من انكشاف الكينونة، سمّاه (Gestell) (هيدغر مارتن، 2003، ص (68-69)) حيث يُقدَّم الوجود في صورة مورد قابل للتعبئة والتنظيم والسيطرة. وهنا يكشف تحليل "هيدغر" للتقنية كـ (Gestell) أنّه، رغم عمقه، يظل عامًا جدًا، وقد لا يستوعب الطبيعة التوليدية للذكاء الاصطناعي.

ولذلك، لا يرى "دولوز جيل"Deleuze Gill في التقنية مجرّد امتداد للعقل البشري، بل تشكّل، حسبه، تحوّلًا جذريًا في أنماط الوجود، إذ تعيد تشكيل مفاهيم مركزية كالزمن والذات والوعي. (دولوز جيل وغتاري فليكس، 2002، ص112) أمّا "لاتور برونو"Latour Bruno فيؤكّد في كتابه «لم نكن حداثيين قط» أنّ التميّز بين الإنسان والآلة، أو بين الطبيعي والصناعي، لم يعد ممكنًا، لأنّنا دخلنا عصر «الهجائن الأنطولوجية» (hybrids ontologiques) التي تذيب الحدود الفاصلة بين الفاعلين البشريين وغير البشريين. (لاتور برونو، 1997، ص67)

وفي ضوء هذا الإطار النظري، يمكن النظر إلى الذكاء الاصطناعي بوصفه الامتداد الأقصى للمنطق التقني الحديث، حيث لم يعد الإنسان سيّد التقنية، بل أصبح منخرطًا في منطقها البنيوي الداخلي. فالآلة الذكية، لا تكتفي بخدمة الإنسان، بل تعيد تعريفه وإعادة تشكيل أفق وجوده ضمن منطق جديد للكينونة، منطق تُديره الخوارزمية أكثر مما تؤسّسه التجربة الإنسانية المباشرة.

وبهذا المعنى، تنخرط فلسفة الذكاء الاصطناعي في عملية تفكيك جذرية للصورة الميتافيزيقية للإنسان التي ورثها الفكر الحديث منذ "ديكارت" و"كانط". فالذكاء الاصطناعي، كما يرى "بوستروم نيك"Bostrom Nick: "يمثّل لحظة انعطاف حاسمة في الهرمية الوجودية التي ظلّ الإنسان يتربّع على قمّتها طيلة التاريخ، إذ تظهر اليوم كيانات ذكية قد تتجاوز قدراته المعرفية وربما الأخلاقية." (Bostrom Nick, 2014, p.9)

وفي هذا السياق، تقدّم فلسفة الذكاء الاصطناعي مقاربة تفكيكية بامتياز للصورة الميتافيزيقية التقليدية للإنسان، لأنّها تنزع المركزية والقداسة عن الإنسان بوصفه ذاتًا متعالية ومركزًا مطلقًا للمعنى، وتعيد التفكير في ماهيته ضمن أفق ما بعد إنساني (Posthumanism). فوفق أطروحات "هراواي دونا" Haraway Donna (1944)، لم يعد هناك فاصل حاسم بين الإنسان والآلة، لأنّ كليهما أصبح جزءًا من بنية سايبورغية هجينة، تتداخل فيها العضوية بالتقنية، والطبيعي بالاصطناعي، في إعادة رسم جذرية لحدود الكينونة الإنسانية.

وهكذا لم تعد الكينونة مرتبطة بجوهرٍ بيولوجيٍ ثابت، بل أضحت تُفهم بوصفها تجربةً معلوماتيةً دينامية، تتحوّل ضمنها الذات إلى بنيةٍ شبكيةٍ من البيانات والعلاقات والتدفّقات. ويعبّر "لوشيانو فلوريدي" Floridi Luciano عن هذا التحوّل الجذري عبر مفهوم «الأنطولوجيا المعلوماتية»، إذ يعتبر أنّ الوجود في الأفق المعاصر لم يعد يُدرَك وفق منطق الماهيات الجوهرية، بل يُفهم من خلال بنى البيانات وأنماط التفاعل بين الكيانات المعلوماتية، حيث تتأسّس الكينونة بوصفها نمطًا من الحضور المعلوماتي والتشابك التداولي داخل بيئات رقمية متغيّرة. (Floridi Luciano, 2019, p.33)

ومن ثمة، فإنّ الذكاء الاصطناعي لا يكتفي بإعادة إنتاج أدوات الإنسان، بل يتجاوز ذلك إلى إعادة تشكيل مفهوم الإنسان ذاته، إذ يدفع الفكر المعاصر إلى تخطّي الأنطولوجيا الإنسانية الكلاسيكية نحو أفق ما بعد إنساني، تُعاد فيه صياغة الكينونة بوصفها بنيةً شبكيةً متداخلة تجمع بين أنماط الذكاء الطبيعي والذكاء الاصطناعي. ومن ثمّ، لم يعد سؤال الكينونة في زمن الذكاء الاصطناعي سؤالًا ميتافيزيقيًا خالصًا، بل غدا إشكالًا معرفيًا وأخلاقيًا عميقًا، يمسّ معنى الوجود نفسه في عصرٍ تحكمه الخوارزميات، وتُعاد فيه صياغة ماهية الإنسان على أسس تقنية معلوماتية جديدة.

### 3. الأبعاد المعرفية: إشكالية الوعي

يُشكِّل الوعي أحدَ أكثرِ المفاهيمِ تعقيدًا وإشكالًا في الحقول الفلسفية والمعرفية، إذ لازم تطوّر الفكر الإنساني منذ بداياته الحديثة، فمن "ديكارت" إلى "هيدغر" ظلّ الوعي يُفهم بوصفه خاصية جوهرية تميّز الإنسان عن سائر الكائنات، باعتباره قدرة الذات على تمثّل العالم وتمثّل ذاتها في آنٍ واحد. غير أنّ التحوّل العميق الذي أحدثه التطوّر المتسارع لأنظمة الذكاء الاصطناعي، القادرة على التعلّم والتحليل والتخطيط بل وحتى الإنتاج الإبداعي الفني واللغوي، أعاد فتح سؤال قديم في أفق جديد: هل يمكن للآلة أن تمتلك وعيًا؟ وإن كان الأمر كذلك، فهل يشكّل الوعي الاصطناعي امتدادًا للوعي الإنساني أم نمطًا مغايرًا له؟ وهكذا، لم يعد النقاش حول الوعي مقتصرًا على حقل فلسفة الذهن، بل غدا نقاشًا إبستمولوجيًا حول المعرفة ذاتها: من يعرف؟ وكيف يُعرَّف الوعي والمعرفة في زمن الفاعلين غير البشريين؟

ويُعدّ الوعي من أكثر الظواهر استعصاءً على الاختزال في التجربة الإنسانية، إذ لا ينحصر في معالجة المعلومات أو تنظيم المعطيات، بل يتجاوز ذلك إلى مستوى الخبرة الذاتية والمعنى القصدي. وفي المقابل، يفرض الذكاء الاصطناعي تحدّيًا فلسفيًا لهذا التصوّر، لأنّه يدّعي محاكاة التفكير والحكم واتخاذ القرار بصورة فعّالة. وهنا تتجلّى المفارقة المعرفية المركزية: هل يجوز الحديث عن وعيٍ اصطناعي بالمعنى الفلسفي الدقيق، أم أنّنا بصدد ذكاء بلا وعي، أي كفاءة حسابية وخوارزمية متقدّمة تفتقر إلى الإدراك الذاتي والحضور القصدي؟

إنّ السؤال الذي هيمن على فلسفة الذكاء الاصطناعي لعقود: هل يمكن للآلة أن تمتلك وعيًا؟ هو في الحقيقة سؤال مظلل. فمن خلال التركيز على محاكاة الوعي، لا ننتبه إلى حقيقة مهمة وهي أنّ القيمة المعرفية للذكاء الاصطناعي لا تكمن في قدرته على محاكاة الوعي، بل في كشفه، من خلال افتقاره للوعي، عن الشروط غير الحاسوبية التي يقوم عليها الوعي الإنساني.

تكشف حجة "سيرل جون" John Searle الشهيرة المعروفة بـ"الغرفة الصينية" عن حدود المقاربة الحاسوبية للوعي، من خلال فصلها بين الأداء السلوكي الناجح والفهم القصدي الحقيقي؛ إنّ نماذج الذكاء الاصطناعي تجسيد مثالي لهذه الغرفة، فهي قادرة على التلاعب بالرموز لإنتاج نصوص متماسكة نحويًا ودلاليًا، لكنها تفعل ذلك دون أي فهم حقيقي للعالم الذي تشير إليه هذه الرموز.

وبهذا يثبت "سيرل" في حجة الغرفة الصينية أنّ الذكاء الاصطناعي، مهما بلغ مستوى تطوّره التقني، لا يمتلك فهمًا حقيقيًا ولا وعيًا أصيلاً؛ لأنّه يشتغل ضمن مستوى تركيبي شكلي (Syntax)، بينما يفترض الفهم الإنساني بعدًا دلاليًا (Semantics) نابعًا من الوعي القصدي. فـ"لا يمكن للآلة أن تفكر، لأنّها لا تفعل سوى معالجة الرموز وفق قواعد صورية من دون إدراك لمعانيها، وهو ما يجعلها تفتقر إلى القصدية والمعنى الذاتي." ((John Searle, 1980, pp (417-457) هنا يؤكد "سيرل" أنّ الوعي ليس وظيفة حسابية قابلة للمحاكاة البرمجية، بل تجربة داخلية ذاتية تتميّز بالقصدية؛ لأنّه دائمًا يتعلق بشيء ما في

العالم (البعد الظاهراتي). ومن ثمة، فإنّ حدود الوعي الاصطناعي تتجلى في غياب هذا الأفق الذاتي الذي يشكّل السمة الفارقة للوعي البشري.

وفي المقابل، يمثل الموقف الوظيفي كما طوّره "دينيت دانيال" Dennett Daniel محاولة لتجاوز حجة "سيرل" عبر إفراغ مفهوم الوعي من محتواه القصدي؛ فمن خلال مساواة الإدراك بالمعالجة الرمزية المعلومات، يقدّم "دينيت" حلاً للمشكلة عبر إنكار وجودها الفعلي. إذ يرى في الذكاء الاصطناعي امتدادًا وظيفيًا للوعي الطبيعي لا نقيضًا له. وضمن هذا الإطار، يشير "دينيت" إلى أنّ ما نطلق عليه اسم "الوعي" يمكن تفسيره تحليليًا بوصفه حصيلة أنماط معقدة من المعالجة الموزّعة للمعطيات من دون افتراض وجود "ذات ميتافيزيقية" تتحكم في مجرى التجربة. ((Dennett Daniel Clement, 1991, pp (25-27)

لكن هذا الاختزال، يكشف بدوره أنّ أي محاولة لفهم الوعي كوظيفة أو سلوك خارجي، تفشل في الإحاطة ببعده الجوهري المرتبط بالخبرة الذاتية النوعية باعتبارها بعدًا ثانيًا للوعي الإنساني إلى جانب القصدية. لكن القصدية والتجربة الذاتية لا تظهران بدورهما في فراغ، بل في إطار إدراكنا للعالم. وهنا يكشف الذكاء الاصطناعي، الذي يعمل كعقل في وعاء، عن الشرط أو البعد الثالث للوعي الإنساني وهو التجسيد؛ فالوعي الإنساني ليس عملية مجرّدة تحدث في الدماغ، بل هو نتاج تفاعل الإنسان، ككائن حي له جسد واحتياجات، مع البيئة الفيزيائية والاجتماعية. إنّ إدراكنا للعالم ليس مجرّد تمثيل داخلي له، بل هو فعل عملي موجه نحو الإمكانات المتاحة للفعل كما يرى "ميرلو-بونتي موريس" Merleau-Ponty Maurice. (Merleau-Ponty M, 1945, p.107)

ويذهب "بوستروم نيك" إلى التأكيد على أنّ الوعي الاصطناعي، في حال تحققه نظريًا، سيكون نمطًا من الوعي الخالي من المعاناة، أي وعيًا بلا تجربة ذاتية أو إحساس وجودي، ما يجعله شكلا جديدًا من الذكاء منزوع البعد الإنساني. ((Bostrom Nick, 2014, pp (125-128) وفي المقابل يحذّر "فلوريدي لوشيانو" من النزعة المتنامية نحو أتمتة الوعي، داعيًا إلى تحويل مركز النقاش من أخلاقيات الآلة إلى أخلاقيات المعرفة، أي مساءلة القيم والمعايير التي تحكم إنتاج المعرفة وتداولها وتأثيرها على الوعي الإنساني. ((Floridi Luciano, 2013, pp (10-15)

وهكذا يكشف الذكاء الاصطناعي أنّ الوعي الإنساني ليس مجرّد تنظيم معلوماتي، ولا ظاهرة أحادية يمكن برمجتها، بل هو بنية مركبة ثلاثية الأبعاد، فهو علاقة قصدية متجسدة في العالم: قصدية تربطه بالعالم، وخبرة ذاتية تمنحه عمقًا شخصيًا، وتجسيد يرسخه في الواقع العملي. وبهذا يتحوّل الذكاء الاصطناعي من مشروع لمحاكاة الوعي إلى أداة معرفية لتفكيك شروط هذا الوعي وفهم أبعاده على نحو أعمق، ويتجلى الفارق المعرفي الحاسم بين آلة تحسب العالم وإنسان يختبره.

**4. الأبعاد الأخلاقية والمسؤولية الإنسانية**

يكاد يجمع الخطاب السائد حول أخلاقيات الذكاء الاصطناعي على أنّ فلسفة الذكاء الاصطناعي لا تنحصر في حدود العلم والتقنية، بل تتجاوزها إلى مساءلة البعد الأخلاقي بوصفه معيارًا حاسمًا لقياس إنسانية التقدّم ذاته، فالذكاء الاصطناعي، بوصفه فاعلاً مشاركًا في اتخاذ القرار، ومؤثرًا مباشراً في مجالات حساسة كالصحة والطب، والسياسة، والتعليم، والحرب والعدالة...، يمثل أحد أبرز التحدّيات الأخلاقية في الفكر الفلسفي المعاصر، إذ يطرح إشكالات جوهرية على غرار: من يتحمل المسؤولية الأخلاقية عن أفعال الذكاء الاصطناعي؟ وهل تنحصر هذه المسؤولية في الإنسان المصمم أو المبرمج، أم يمكن أن تمتد إلى الأنظمة ذاتها حين تمارس قدرًا من المسؤولية في اتخاذ القرار؟

وبهذا المعنى انتقلت الأخلاق من كونها أخلاق الفعل البشري الخالص، إلى ما بات يعرف اليوم بأخلاقيات التقنية (Ethics of Technology) أو بالأخلاق الخوارزمية (Algorithmic Ethics). فمع كل خوارزمية جديدة تُنتج قرارًا أو تُوجه سلوكًا يُطرح سؤال مركزي لا يمكن تجاوزه: من المسؤول؟ الإنسان أم الآلة؟ وهنا يتجلى الرهان الأخلاقي العميق المتعلق بحدود الفعل، ومسؤولية القرار، ومعنى المحاسبة في زمن الفاعلين التقنيين غير البشريين.

إنّ الإشكال الأخلاقي الذي يطرحه الذكاء الاصطناعي لا يتعلق فقط بإمكان تحيّز الخوارزميات أو إساءة استخدامها، بل بإعادة تعريف الفعل الأخلاقي ذاته؛ فحين يتحوّل القرار إلى عملية تحسين للنتائج، يختزل الحكم إلى حساب، غير أن الفعل الأخلاقي يفترض وعيًا بالمعيار، وقابلية للتبرير، واستعدادًا لتحمّل تبعات القرار. ومن ثمة، فإن منح أنظمة الذكاء الاصطناعي استقلالاً وظيفيًا لا يكفي لمنحها فاعلية أخلاقية، لأنّ الفعل الأخلاقي يتطلب وعيًا ذاتيًا وقدرة على المساءلة الداخلية، فالمسؤولية ليست مجرّد قدرة على الاختيار، بل وعيًا بمعنى الاختيار. وهنا يتأسس مبدأ اللاتماثل الأخلاقي الذي يؤكد أنّ المسؤولية تظل إنسانية حتى في أكثر البيئات الخوارزمية تعقيدًا.

يؤكد "هانس يوناس" Hans Jonas في كتابه "مبدأ المسؤولية: أخلاق من أجل الحضارة التكنولوجية" أنّ التقنية الحديثة أفرزت أفعالاً تتجاوز آثارها اللحظة الحاضرة، لتمتد نتائجها إلى أجيال لم تولد بعد، وهو ما يستدعي تأسيس أخلاق مستقبلية جديدة تتخطى التصورات الكلاسيكية للواجب والمسؤولية. فالمسؤولية لم تعد مقترنة بالفعل الفردي الآني، بل أصبحت مرتبطة بقدرة الإنسان على الاستشراف والتقدير الأخلاقي لآثار الفعل التقني ضمن أفق زمني مفتوح وغير محدود. ومن هذا المنظور يعدّ الذكاء الاصطناعي اختبارًا حاسمًا لهذا المبدأ، لأنه يُنتج قرارات ونتائج قد تنفلت من وعي صانعها، وتتجاوز حدود السيطرة الأخلاقية المباشرة للفاعل البشري. (هانس يوناس، 2013، ص (45-47))

ويذهب "فلوريدي لوشيانو" إلى أنّ أخلاق الذكاء الاصطناعي ليست أخلاقًا تخص الآلة، بل تخص المعلومات، إذ يجب أن نفكر في الذكاء الاصطناعي كفضاء أخلاقي جديد لا كفاعل مستقل، معتبرًا أنّ مسؤولية الإنسان تتجسد في ضبط تدفق المعلومات ضمن أفق إنساني للمعرفة. وهو بذلك ينقل

النقاش من سؤال: هل يمكن للآلة أن تكون أخلاقية؟ إلى سؤال: كيف نحافظ على أخلاقية الإنسان داخل عالم تعيد فيه الآلة تعريف المعايير ذاتها؟

ولذلك، يحذر من تطوّر الذكاء الفائق الذي قد يجعل الإنسان ينقل قراره الأخلاقي إلى أنظمة غير قادرة على الندم أو التعاطف، ويقترح ضرورة بناء منظومات أخلاقية وقائية تضمن خضوع الذكاء الاصطناعي لقيم إنسانية راسخة قبل أن تتجاوز قدراته حدود السيطرة البشرية. (Floridi Luciano, 2013, p.85)

أخيرًا، وفي السياق نفسه، يؤكد "هبرماس يورغان" Habermas Jürgen أنّ التكنولوجيا ينبغي أن تخضع لمنطق العقل التواصلي من خلال الاندماج ضمن أفق الفعل التفاهمي المبني على الحوار والمسؤولية المشتركة؛ فالذكاء الاصطناعي ليس خطرًا في ذاته، بل في تحوّله إلى سلطة تستأثر بالقرار وتقصي الإنسان كفاعل، مع إضعاف قدرته على الحكم الأخلاقي. (Habermas Jürgen, 1984, pp 332-336) بينما ينبّه "ستيغلر" إلى خطورة التقنية عندما تمارس بمعزل عن التأمل الأخلاقي، إذ تفضي إلى ما يسميه "تدهور العناية" (la perte de sollicitude) ، أي فقدان الإنسان لصلة المسؤولية التي تربطه بالعالم وبالآخرين. (ستيغلر برنار، 2019، ص (32-36))

وفي المقابل، يشدّد "فيري لوك" على ضرورة أن تضطلع الفلسفة بإعادة بناء مفهوم الإنسانوية التقنية، بحيث لا تغدو التقنية نقيضًا للقيم الأخلاقية، بل امتدادًا للقدرة الإنسانية على ترقية شروط الحياة، شريطة أن تظل خاضعة لقيم الحرية والكرامة. (فيري لوك، 2018، ص (55-60))

وهكذا يتبيّن لنا كيف نقل الذكاء الاصطناعي الأخلاق من إشكالية الواجب، إلى التساؤل عن كيفية صيانة الفعل الأخلاقي ذاته: كيف نضمن أخلاقية الممارسة الإنسانية داخل عالم تديره الخوارزميات؟ فإذا كان الوعي الاصطناعي يعيد ترسيم آفاق المعرفة، فإن الذكاء الاصطناعي يعيد تحديد حدود المسؤولية. ومن هذا المنظور يتجلى التحدي الحقيقي في الحفاظ على إمكانية الفعل الأخلاقي في عالم يتجه نحو أتمتة القرار، حيث يصبح الإنسان مطالبًا ليس فقط بالتحكم في التقنية، بل بالتحكم في نفسه وهو يصمّمها. فالمطلوب اليوم لا يقتصر على سن تشريعات قانونية أو أخلاقيات مهنية، بل يستدعي تأسيس فلسفة جديدة تنمي لدى الإنسان حس الرعاية والمسؤولية تجاه الآخر، سواء كان هذا الآخر إنسانًا أم آلةً أم نسقًا بيئيًا.

**5. وظيفة النقد في فلسفة الذكاء الاصطناعي: تأسيس أنسنة نقدية ما بعد تقنية**

لقد تحوّل الذكاء الاصطناعي من كونه منجزًا علميًا إلى إشكالية فلسفية مركبة تستوجب مساءلة شاملة لمعانيه وتداعياته في حقول المعرفة والأخلاق والوجود، ولا يقتصر التحليل النقدي على تقويم الاستخدامات التقنية، بل يتجاوز ذلك إلى تفكيك مرتكزاته الأنطولوجية والإبستمولوجية، أي مساءلة الشروط التي تجعل الذكاء ممكنًا، والكشف عما يُفتقد حين يُختزل في البنية الخوارزمية.

إنّ وظيفة النقد في فلسفة الذكاء الاصطناعي ليست رفض التقنية أو التحذير منها، بل تفكيك البنية المفهومية التي تجعل من الذكاء الحسابي معيارًا نهائيًا لتعريف العقل ذاته؛ فحين يختزل الذكاء في القدرة على معالجة المعطيات بكفاءة، ويعاد تعريف الفهم بوصفه أداءً وظيفيًا، هنا يتجاوز الخطاب التقني حدوده الوصفية ليتحوّل إلى أطروحة أنطولوجية يتم تمرير من خلالها افتراضًا ميتافيزيقيًا مفاده أنّ الوعي ليس سوى بنية حسابية معقدة.

ومن هذا المنظور، يمارس النقد وظيفة مزدوجة: فهو من جهة يكشف الاختزال الأداتي للعقل، ويؤسس من جهة أخرى لفارق أنطولوجي غير قابل للاختزال بين الذكاء كبنية حسابية، والوعي كتجربة ذاتية متجسدة وقصدية. وهو ما يقود إلى ما يمكن تسميته بـ "أنسنة نقدية ما بعد تقنية"، ليست معادية للتكنولوجيا، بل تسعى إلى الحفاظ على الأسبقية الوجودية للإنسان في إنتاج المعنى، مع قبول التعزيز المعرفي التكنولوجي. إذ تعترف باندماج الإنسان في البيئة الرقمية، لكنها ترفض مساواته بالآلة على مستوى الكينونة والمعنى، وعلى المستوى القيمي الأخلاقي والمعرفي الإبستمولوجي.

يذهب " هيدغر مارتن" في تأملاته حول ماهية التقنية، إلى أنّ خطرها لا يكمن في أدواتها ذاتها، بل في النسق الوجودي الذي تفرضه على الإنسان؛ إذ تقحم التقنية الحديثة الكائن البشري في نمط من الانكشاف الأداتي حيث "يُستدعى كل كائن ليصبح موردًا جاهزًا للاستعمال (Gestell)."(هيدغر مارتن، 2003، (168-169) وإذا كانت التقنية عند هيدغر تفهم بوصفها أسلوبًا لانكشاف الوجود، فإنّ الذكاء الاصطناعي يمثل الذروة القصوى لهذا الانكشاف؛ إذ يعيد تشكيل الفكر ذاته في صورة وظيفة حسابية، ويحوّل العقل إلى معطى برمجي قابل للتصميم والتعديل. لكن تحليل هيدغر" للتقنية كـ (Gestell)، رغم عمقه، يظل عامًا جدًا، وقد لا يستوعب الطبيعة التوليدية للذكاء الاصطناعي.

وفي هذا الإطار، يدعو "هبرماس" ضمن أفق نظرية الفعل التواصلي إلى ضرورة تحصين الفضاء الإنساني من هيمنة المنطق الأداتي؛ لأنّ "خطر التقنية الحديثة لا يكمن في إمكاناتها، بل في هيمنتها على منطق الفهم ذاته." ((Jürgen Habermas, 1984, (332-336) وانطلاقا من هذا المنظور، فلسفة الذكاء الاصطناعي مطالبة بإعادة إقامة التوازن بين العقل الأداتي والعقل التواصلي، أي بين منطق الحساب وآفاق الوعي بالمعنى.

أما " فلوريدي لوشيانو" فيقترح تأسيس فلسفة المعلومات، باعتبارها أفقًا نقديًا جديدًا يعيد موضعة الإنسان بوصفه فاعلاً أخلاقيًا ومعرفيًا داخل البيئة الرقمية، ويرى أنّ الذكاء الاصطناعي لا يمثل مجرّد تطوّر تقني للآلة، بل يعكس تحوّلاً عميقًا في تصور الإنسان لذاته ومكانته داخل الفضاء المعلوماتي (Infosphere). (Floridi Luciano, 2011, p.59) ويشدّد "فلوريدي" على أنّ النقد الفلسفي مطالب بمواجهة ما يسميه بالأنثروبولوجيا الرقمية، أي ذلك المسعى الرامي إلى إعادة تعريف الإنسان وفق معايير الذكاء الحسابي.

وعليه، فإنّ الرهان النقدي لا يكمن في رفض التقنية، ولا في حماية تفوق الإنسان، بل في تأسيس أنسنة نقدية ما بعد تقنية تضمن حماية شروط المعنى التي تجعل من الفعل الإنساني فعلاً أخلاقيًا مسؤولاً نابعًا من وعي قصدي لا يمكن ردّه إلى الأداء الخوارزمي مهما بلغ تعقيده، لا مجرّد استجابة حسابية.

وبالتالي، نخلص إلى أنّ الفلسفة النقدية للذكاء الاصطناعي لا تمثل نزعةً تشاؤميةً ولا موقفًا رافضًا للتقدّم، بل تشكّل مسعى لاستعادة أفق المساءلة الفلسفية في مواجهة الاندفاع غير النقدي نحو التقنية. فالنقد هنا لا يعني إدانة الآلة، بل يهدف إلى تفكيك الآليات التي يعاد عبرها تشكيل الوعي الإنساني وفق منطق البرمجة. إنها فلسفة تسعى إلى تحقيق توازن إشكالي بين الابتكار التقني والمسؤولية الإنسانية، وبين الذكاء الحسابي وأفق المعنى الوجودي. وبالتالي، الفلسفة النقدية للذكاء الاصطناعي ليست ترفًا فكريًا معرفيًا، بل ضرورة وجودية ملحة؛ إنها نداء لإنقاذ الإنسان من منطق التشيؤ، واستعادة الوعي بوصفه فعلاً حرًا في زمن الخوارزمية.

**6. تحليل النتائج:**

استنادًا إلى هذه المقاربة التحليلية النقدية، يتضح أنّ الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرّد تقنية معلوماتية محايدة، بل أصبح بنيةً إبستمولوجيةً وأنطولوجيةً فاعلة تعيد تشكيل مفاهيم الإنسان والمعرفة والأخلاق في المجتمعات المعاصرة، ضمن أفقٍ تحكمه العقلانية الحسابية والمنطق الخوارزمي.

ويؤكد التحليل أنّ الانتقال من العقل التأملي إلى العقل الأداتي بلغ ذروته في عصر الذكاء الاصطناعي، وهو ما يفضي إلى أشكال جديدة من الاغتراب الرقمي حيث ينخرط الوعي الإنساني في منظومات تعلم آلي تضبط السلوك وتوجه الاختيار، كما نبّه هبرماس.

ويثبت تحليل ومناقشة إشكالية الوعي الاصطناعي، أنّ محاكاة الفهم لا تعني امتلاك الوعي، كما بيّن سيرل في حجة "الغرفة الصينية"، وهو ما يدعم وصف الذكاء الاصطناعي بأنه "وعي صوري بلا قصدية".

وخلصت الدراسة إلى أنّ الخطر الحقيقي لا يكمن في كفاءة الذكاء الاصطناعي، بل في خطاب الحياد الذي يرافقه والذي قد يحوّله إلى مشروع ما بعد إنساني يقصي الإنسان ذاته؛ فالكثير من الدراسات المرجعية نبّهت وحذّرت من أنّ فهم الذكاء الاصطناعي كبنية مستقلة عن منظومة القيم قد يؤدي إلى مشروع "ما بعد إنساني" يستبعد الإنسان نفسه.

وبناء عليه، تؤكد النتائج صحة الفرضية الأساسية للدراسة القائلة بأنّ الذكاء الاصطناعي يشكّل تحدّيًا أنطولوجيًا وأخلاقيًا للإنسان دون أن يلغي إنسانيته. وتبرز الفلسفة النقدية بوصفها الأفق الأكثر فاعلية لاستعادة مركزية الإنسان، من خلال بلورة مفهوم "الأنسنة ما بعد التقنية" الذي يقوم على

إدماج الإنسان داخل الأطر التقنية بدل فصلها عنه، مع إعادة توزيع الفاعلية بين الإنسان والآلة لضمان الحفاظ على المعنى والغاية، كما أشار "لاتور".

وفي ضوء ذلك، تفسّر النتائج كيف أنّ الفلسفة النقدية للذكاء الاصطناعي قادرة على صياغة بديل عن الثنائية التقليدية (الإنسان/الآلة)، يرتكز على التعاون المسؤول بين الذكاء الطبيعي والاصطناعي. وعليه، فإنّ الرهان الفلسفي اليوم يتمثل في توجيه هذه التقنيات بما يحفظ إنسانية الإنسان في زمن الخوارزميات.

**7. خاتمة:**

نصلُ في خاتمةِ هذا المقال إلى استخلاصِ أبرزِ نتائجه التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

لا يطرح الذكاء الاصطناعي تحديًا تقنيًا فحسب، بل يفرض إعادة نظر أنطولوجية في المفاهيم التي تأسس عليها تصور الإنسان في الفلسفة؛ فالقدرة الخوارزمية على التعلم واتخاذ القرار تكشف أنّ ما اعتبر طويلا حكرًا على الإنسان يمكن محاكاته، لكن هذه المحاكاة لا تستلزم امتلاك الوعي القصدي أو الخبرة الذاتية التي تشكل جوهر الكينونة الإنسانية.

ولذلك، فإنّ الخطر الحقيقي لا يكمن في تفوق الآلة، بل في النزعة الاختزالية التي تميل إلى مساواة الذكاء بالمعالجة الحسابية، والعقل بالكفاءة الأداتية. مما يقود إلى تقويض الفارق بين الإنسان والآلة، ويعيد تعريف الإنسان ضمن منطق الأداء والوظيفة، بدل المعنى والوعي والمسؤولية. ومن ثم، يظل التميّز بين الذكاء بوصفه بنية حسابية، والوعي بوصفه تجربة قصدية متجسدة، شرطًا أساسيًا للحفاظ على خصوصية الإنسان داخل البيئة الرقمية.

ومن هنا تتبلور النتيجة الجوهرية لهذه الدراسة، ومفادها أنّ الذكاء الاصطناعي يزعزع التصورات الكلاسيكية للعقل دون أن يبطلها، ويدفع الفلسفة إلى إعادة صياغة سؤال الإنسان في أفق جديد، حيث لم يعد ممكنًا التفكير في الإنسان بمعزل عن التقنية، ولا في التقنية بمعزل عن أثرها في تشكيل الوعي والمعرفة.

وعليه، فإنّ الرهان الفلسفي لا يتمثل في رفض التقنية أو تمجيدها، بل في تأسيس مقاربة نقدية قادرة على ضبط حدودها المفهومية والأخلاقية، ومنع تحوّلها إلى معيار وحيد لتعريف الإنسان.

وفي الختام، يمكن التأكيد على أنّ إعادة التفكير في موقع الإنسان داخل عالم الخوارزميات، مهمة فلسفية مفتوحة تتطلب تعميق البحث في قضايا القصدية، الخبرة، والمسؤولية الأخلاقية في البيئات الخوارزمية. ولذلك، يُعد الذكاء الاصطناعي مناسبة لتعميق البحث في سؤال الإنسان، واختبار مدى قدرته على الحفاظ على معناه في زمن تسارع الآلة أكثر من التأمل.

**9. قائمة المراجع:**

**المؤلفات:**

**باللغة العربية:**

- أفلاطون، (2012)، *فيدون (في خلود النفس)*، ترجمة قرني عزت، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أرسطو، (1968)، *السياسة*، ترجمة السيد أحمد لطفي، ط4، القاهرة: دار المعارف.
- كانط إيمانويل، (1999)، *أسس ميتافيزيقا الأخلاق*، ترجمة مكاوي عبد الغفار، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ستيغلر برنار، (2019)، *ما يجعل الحياة جديرة بأن تعاش: عن فلسفة العناية*، ترجمة حسان أحمد، بيروت: دار جداول.
- لاتور برونو، (1997)، *لم نكن حداثيين قط: مقالة في الأنثروبولوجيا المتماثلة*، ترجمة المنساوي مصطفى، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- دولوز جيل وغتاري فليكس، (2001)، *ما الفلسفة؟* ترجمة الوردي هالة، بيروت: دار محمد علي.
- ديكارت رينيه، (1998)، *مقال في المنهج*، ترجمة الخضيري محمود محمد، ط3، القاهرة: دار المعارف.
- سيموندون جيلبير، (2018)، *في نمط وجود الأشياء التقنية*، ترجمة زيناتي جورج، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- فيري لوك، (2018)، *الثورة ما بعد الإنسانية: كيف ستغير التكنو-طب والاقتصاد الرقمي عالمنا؟*، ترجمة الشيخ محمد، الدار البيضاء: دار توبقال.
- هيدغر مارتن، (2012)، *الكينونة والزمان*، ترجمة وتقديم وتعليق د. المسكيني فتحي، مراجعة المصدق إسماعيل، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة مولا علي.
- هيدغر مارتن، (2003)، *سؤال التقنية*، ضمن: *كتابات أساسية (ج2)*، ترجمة المصدق إسماعيل، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- ميشال فوكو، (2001)، *الكلمات والأشياء: أركيولوجيا العلوم الإنسانية*، ترجمة يفوت سالم، ط2، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- يوناس هانس، (2013)، *مبدأ المسؤولية: أخلاق من أجل الحضارة التكنولوجية*، ترجمة حاج اسماعيل حيدر، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

**مؤلف صيغة الكترونية:**

- عقوني محمد، (2023)، الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري والبحث العلمي.

https://drive.google.com/.../1GyPTet1rNOjUm4w...z9JF.../viw

**باللغة الانجليزية:**


- Dennett Daniel Clement, 1991, *Consciousness Explained*, Boson USA : Little, Brown and Company.
- Garner Howard, 2011, *Frames of Mind : The Theory of Multiples Intelligences,* New York : Basic Books.
- Anderson John R, 2021, *Cognitive Psychology and Its Implications*, 9th ed. New York : Worth Publishers.
- McCarthy John, 2007, *What is Artificial Intelligence ?* Stanford University Press.
- Habermas Jürgen, 1984, *The Theory of Communicative Action*, Vol.1 : *Reason and the Rationalisation*, trans. T. McCarthy, Beacon Press, Boston USA.
- Floridi Luciano, 2011, *The Philosophy of Information*, Oxford University Press.
- Floridi Lucian , 2013, *The Ethics of information*, Oxford : Oxford University Press.
- Floridi Luciano, 2014, *The Fourth Revolution : How the Infosphere Is Reshaping Human Reality*, Oxford University Press.
- Floridi Luciano, 2019, *The Logic of Information : A Theory of Philosophy as Conceptual Design,* Oxford University Press.
- Boden Melanie Anne, 2018, *AI : It's Nature and Future,* Oxford University Press.
- Bostrom Nick, 2014, *Superintelligence : Paths, Dangers, Strategies,* Oxford University Press.
- Sternberg Robert, 2020, *Human Intelligence*, Cambridge University Press.
- Russell, S., & Norvig, P., 2021, *Artificial Intelligence : A Modern Approach* (4th ed.), Pearson, p.1.


**المقالات:**

**باللغة الإنجليزية:**


Searle John, 1980, *"Minds, Brains, and Programs"*, *Behavioral and Brain Sciences*, 3(3) : (417-457).


**الموسوعات والمعاجم:**


- ابن منظور، (د.ت)، *لسان العرب*، 1، مادة "ذكا"، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة: دار المعارف.